مظاهر ثقافية في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي

د. باسم ناظم سليمان
مدرس
كلية التربية – جامعة كركوك

ملخص البحث

دراستي بعنوان مظاهر الثقافة في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي ، وقد وظفت المنهج التحليلي الذي يعنى بدراسة المضمون والشكل . أن كتاب صيد الخاطر مجموعة من المقالات المتنوعة مضمونا والمتبينة طولاً . أما خطة البحث فتتكون من تمهيد وفصول أربعة ، ثم خاتمة أوجزت فيها أبرز نتائج البحث. وظفت لبيان معنى الثقافة لغة واصطلاحاً ، وخصصت الفصل الأول للمظاهر الدينية والاجتماعية ، والفصل الثاني للمظاهر النفسية والتربوية ، والفصل الثالث للمظاهر الاقتصادية والصحية ، والفصل الرابع للجوانب الفنية .

تجسدت مظاهر ثقافة ابن الجوزي في كتاب صيد الخاطر في الجوانب الدينية والاجتماعية ، والنفسية ، والتربوية ، والاقتصادية ، والصحية من خلال أسلوبه المقالي الذي ضمنه كثيراً من تجاربه الذاتية وخبراته الشخصية .

من الموضوعات الدينية في كتاب صيد الخاطر دليل وجود الخالق ، والتذكير بالموت ، والتحذير من الذنوب. ومن الموضوعات الاجتماعية فضل العزلة ، والتحذير من الأصدقاء ، وضرورة كتمان الأسرار. ومن المظاهر النفسية ضرر الغضب ، والتحذير من الحسد ، والتكبر. ومن المظاهر التربوية استثمار الوقت ، وكيفية القراءة لطالب العلم ، وفضل تأليف الكتب ، وتجنب الإسراف في إظهار مشاعر الحب والحنان للولد والزوجة. ومن المظاهر الاقتصادية التحذير من الإسراف وتقليل الإنجاب وتحديد النسل ، وعدم إكثار الزوجات والاقتصار على واحدة ، والركون إلى مهنة وعمل لأجل الكسب . ومن المظاهر الصحية التي حذر منها ابن الجوزي الإسراف الجنسي ، وأوصى بالنظافة والعناية بالمظهر.

أما أسلوبه فيشيع فيه الطابع الديني كأسماء الأنبياء والزهاد والفرائض ، والتكرار لغرض التوكيد والإقناع فهو أديب مصلح وعالم واعظ كرس حياته للوعظ والإرشاد لينقد المجتمع من الضياع والضللال كما تتباين كتاباته من حيث الطول والقصر فتارة تأتي قصيرة وتارة تكون طويلة حسب درجة الانفعال والتأثر . ومن أبرز المآخذ تكرار العديد من الأفكار في أكثر من موقع . ووظف وسيلتي السرد الموضوعي والذاتي للتعبير عما يجول في خاطره من أفكار عميقة وتجارب ذاتية . وتكثر الصور البيانية في أسلوبه كالتشبيهات والاستعارات كما وظف الفنون البديعية كالجناس والطباق والسجع والاقْتباس من القرآن الكريم ليزيد أسلوبه جمالاً واقناعاً .

المقدمة

يتسم كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي بتنوع مضامينه الثقافية فقد أودعه المؤلف كثيراً من خبراته التي اكتسبها من خلال القراءة والتجربة والمشاهدة ويعد مؤسس فن المقالة الأدبية بأغراضها المتنوعة التي انبثقت منها ثقافته الواسعة .

لقد اعتمدت المنهج التحليلي في دراسة النصوص من الناحيتين المضمونية والفنية . أما المصادر التي اعتمدها فهي ادب الدنيا والدين للماوردي ، والاعلام للزركلي ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لشمس الدين القرطبي ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس . ومن المراجع المعتمدة السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين لفوزي سالم

عفيفي ، والعزلة والمجتمع لنيقولاى برديائف ، وعناصر القوة في الإسلام لسيد سابق . كما وظفت قسما من البحوث المنشورة في الدوريات مثل ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم لجليل رشيد فالح ، والنظرية السايكولوجية في الإسلام للحارث عبد الحميد حسن .

تتكون خطة البحث من تمهيد وفصول أربعة ثم خاتمة أوجزت فيها أبرز نتائج البحث . خصصت التمهيد لتعريف الثقافة في اللغة والاصطلاح والتعريف بكتاب صيد الخاطر ، ودرست في الفصل الأول المظاهر الدينية والاجتماعية ، وفي الفصل الثاني المظاهر النفسية والتربوية ، وفي الفصل الثالث المظاهر الاقتصادية والصحية ، ودرست في الفصل الرابع الجوانب الفنية .

التمهيد

الثقافة لغة :

تدل الثقافة على التهذيب والتعديل (ويقال ثقفت القناة إذا أقيمت عوجها)^(١) و(يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم . ابن دريد ثقفت الشيء حدقته وثقفته إذا ظفرت به (...)) وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا (...)) والثقاف : ماتسوى به الرماح ومنه قول عمرو :

إذا عض الثقاف بها أشمأرت تشح قفا المثقف والجبين^(٢)

وتثقيفها تسويتها)^(٣) يقصد عمرو بن كلثوم التغلبي إذا أخذها الثقاف لتقويمها نفرت من التقويم وولت الثقاف فجعل القناة التي لايتها تقويمها مثلا لعزتهم وجعل قهرها من تعرض لهدمها كنفار القناة من التقويم والاعتدال . وينسب البيت إلى البحر الوافر الذي يتسم بكثرة حركاته وحيويته وينسجم مع غرض الفخر والحماسة . فالتثقيف يعني إزالة العوجاج لجعل القناة مستقيمة مهذبة لتصبح جاهزة ومتكاملة الصنع . وكذلك الفرد المثقف يكون مستعدا للتعبير او للتصرف في الظروف والمواقف كلها .

الثقافة اصطلاحا :

تعني الثقافة المجموع الكلي لطرائق العمل والتفكير أو هي (ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية والخبرة العملية التي تحدد طريقه في التفكير ومواقفه في مختلف طرق الحياة من أي جهة حصلت تلك المعرفة وتلك الخبرة سواء أكانت من البيئة والمحيط والمهنة والمدرسة أم من طرق أخرى غيرها والثقافة بالنسبة للفرد هي شخصيته وهويته)^(٤) . وقد نتكون ثقافة الفرد محدودة بنمط واحد من المعرفة عندئذ نقول ثقافته محدودة تاريخية أو دينية أو اقتصادية أو صحية أو نفسية أو اجتماعية أو تربوية أو علمية . وقد تكون ثقافة الفرد شمولية متنوعة يتقن المعارف كلها وهو امر نادر فنقول ان ثقافته واسعة . ولاحظت ان هذا الامر يخفى على الكثيرين .

كتاب صيد الخاطر:

عبارة عن مجموعة من المقالات الادبية ذات مضامين متنوعة دينية واجتماعية ونفسية وتربوية واقتصادية وصحية ضمنها ابن الجوزي خبراته ونظراته الخاصة وبعضا من سيرته الشخصية ونظراته الخاصة للكون والعالم والإنسان .

لقد اعتمدت في دراستي الطبعة الاخيرة المنقحة والمبوبة بشكل حديث إذ تضمن الكتاب فهرس الاحاديث النبوية الشريفة وفهرس الموضوعات والكتاب من إعداد قسم الترجمة والتحقيق بدار الإسرء في الاردن .

الفصل الأول

مظاهر دينية واجتماعية

المبحث الأول : مظاهر دينية

من الموضوعات الدينية في كتاب صيد الخاطر دليل وجود الخالق عز وجل ورحمته ولطفه في تكوين الإنسان إذ غرس فيه الهوى فيقول ابن الجوزي: (لما كان بدن الأدمي لا يقم إلا باجتلاب المصالح ودفع المؤذي رُكّب فيه الهوى ، ليكون سببا لجلب النافع (...)) ولولا الهوى في المطعم ما تناول الطعام فلم يقم بدنه فجعل له إليه ميل وتوق فإذا حصل له قدر ما يقيم بدنه زال التوق وكذلك في المشرب والملبس والمنكح . وفائدة المنكح

من وجهين: أحدهما: إبقاء الجنس وهو معظم المقصود والثاني: دفع الفضلة المحتقنة المؤذي احتقانها ولولا تركيب الهوى المائل بصاحبه إلى النكاح ما طلبه احد فمات النسل وأذى المحتقن^(٥).

تتجلى في النص ثقافة ابن الجوزي الدينية فتكوين الإنسان وإيداع الغرائز فيه كالجوع والعطش والجنس هو لمصلحة المخلوق ولأسيما الغريزة الجنسية التي بدافعها يتم الزواج ويستمر النسل ويزول الأذى والضرر من جسد الإنسان فهو يخاطب القارئ ويذكر له البراهين العقلية الملموسة مستشهدا بجسد الإنسان وتركيبه العضوي وحاجاته النفسية وهو دليل عناية الله تعالى بالمخلوق ونلاحظ وضوح الفكرة وقوتها . يقول السيد سابق (والوجود الإلهي كما هو حقيقة تتجلى في الكون وفي الطبيعة وفي الأشياء وفي النفس فهو قريب من الإنسان بل اقرب إليه من نفسه يسمع دعاءه ويلبي نداءه ويحقق رجاءه)^(٦) .

لقد أراد ابن الجوزي إقناع الملحد المنحرفين ليؤمنوا بالخالق ويقروا بوجوده ويعبدوه فيزدادوا قوة وثقة بالنفس واطمئنانا واستقرارا فإن عرف الإنسان أن خالقه هو الله كانت نتائج ذلك مفيدة كما بين احد الدارسين (أ- من ثمار الإيمان بالله والمعرفة به تحرر النفس من سيطرة الغير وذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار أن الله هو المحيي والمميت الخافض ، الرافع ، الضار ، النافع ، المعطي ، المانع (...)) ب- والإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام واحتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من اجل الحق إذ إن الإيمان يقتضي بأن واهب العمر هو الله وانه لا ينقص بالإقدام ولا يزيد بالأحجام فكم من إنسان يموت وهو على فراشه الوثير وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمرات المعارك والحروب)^(٧) .

ويذكر ابن الجوزي نسيان الكثيرين للموت الذي ينتظرهم والفناء الذي سيصيبهم فقال: (ما إبله من لا يعلم متى يأتيه الموت وهو لا يستعد للقائه ، واشد الناس بلة وتغفلا من عبر الستين وقارب السبعين فإن ما بينهما هو معترك المنايا ومن نازل المعترك استعد وهو مع ذلك غافل عن الاستعداد (...)) وهل بقي لابن ستين منزل؟ فإن طمع في السبعين فإنما يرتقي إليها بعناء شديد ، إن قام دفع الأرض وإن مشى لهث وإن قعد تنفّس ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها فإن أكل كد المعدة وصعب الهضم وإن وطأ أذى المرأة)^(٨) .

لقد بدأ ابن الجوزي مستغربا من الذين لم يستعدوا للموت ولم يكثرُوا من الفضائل والحسنات بل انشغلوا بحطام الدنيا الفانية ولأسيما الذين اشرفوا على الرحيل فتجاوزت أعمارهم الستين والسبعين وانتابتهم الأمراض والعلل التي تثقل عليهم شهوة الطعام والنكاح فالأجسام فانية لا محال فالفكرة الرئيسية في النص انها حياة الانسان وموته ومفارقته لحطام الدنيا وشهواتها ويؤكد قائلا: (والجسد ليس هو الأدمي وإنما هو مركبه فالأرواح لا ينالها البلى والأبدان ليست بشيء واعتبر هذا بما إذا قلعت ضرسك ورميته في حفرة فهل عندك خبر مما يلقي في مدة حياتك؟ فحكم الأبدان حكم ذلك الضرس لا تدري النفس ما يلقي ولا ينبغي أن تنغم بتمزيق جسد المحبوب وبلاه)^(٩) . نلاحظ في النص قوة فكرة الكاتب ومقدرته على الإقناع والتمثيل فجعل الجسد مركبا للروح إشارة إلى خلود الروح واستشهد بمثال واقعي محسوس ليحذرنا من الهم عن موت قريب وحبیب فالأجسام كلها فانية زائلة وهي مراكب للنفوس والأرواح والدليل تغير شكل الإنسان كالشيب الذي يبدو عليه وضعفه كلما ازداد عمرا بينما تبقى الأرواح دونما تغيير فقد قال العلماء: (الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة ما بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار وهو من أعظم المصائب (...)) وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكير فيه وترك العمل له وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر)^(١٠) .

وتحدث ابن الجوزي عن الذنوب قائلا: (المؤمن لا يبالغ في الذنوب وإنما يقوي الهوى وتتوقد نيران الشهوة فينحدر وله مراد لا يعزم المؤمن على موافقته ولا على العود بعد فراغه ولا يستقصي في الانتقام إن غضب وينوي التوبة قبل الزلل (...)) والسبب في هذه الأحوال أن الإيمان في قمع النفوس يكون على حسب قوته ، فتارة يرددها عند الهم وتارة يضعف فيردها عند العزم ، وتارة عن بعض الفعل فإذا غلبت الغفلة ووقع الذنب فتر الطبع فنهض الإيمان لعمل فينقص بالندم أضعاف ما التذ)^(١١) . إن مضمون النص هو التحذير من الذنوب وتأثيرها السلبي في الفرد عند الغفلة وغياب العقل بحثا عن الشهوة واللذة ولا سيما عند الهموم وهذه الحالة تشيع عند الكثيرين اللذين تحركهم الشهوة ولأسيما الشباب والنساء

إن نوافع الذنوب وارتكاب المعاصي هي شهوات النفس والهموم والغفلة ولأسيما إذا قل الإيمان بالله أو انعدم فيصاب العاصي الملحد بالضياح والرعب والتشتت وتلومه نفسه فيزداد قلقا وضعفا واضطرابا (إن علماء الأمراض العقلية لا يجدون اليوم سلاحا أمضى وأبعد فاعلية لعلاج مرضاهم من الدين والإيمان بالله والتطلع إلى رحمة السماء والتشبث بالرعاية الإلهية والالتجاء إلى قوة الخالق الهائلة عندما يتضح عجز كل قوة سواه لقد بدأت التجربة في مستشفى (Matleawar) بولاية نيويورك وهو مستشفى خاص بمرتكبي الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية . بدأت التجربة بإدخال الدين كوسيلة جديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ والعقاقير المسكنة والمهدئة للأعصاب)^(١٢) . فإن الهموم والأحزان إذا تراكمت في النفس العليلية والخالية من الإيمان المرتكبة للذنوب والمعاصي أودت بصاحبها إلى الضياح (إنها تجريء على العبد من لم يجتريء عليه من

أصناف المخلوقات فتجتريء عليه الشياطين بالأذى والإغواء والوسوسة والتخويف وانسائه ما به مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه وتجتريء عليه شياطين الإنس (...) حتى تؤزه إلى معصية الله أزا ويجتريء عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم وذلك أن الطاعة حصن الله تبارك وتعالى^(١٣). تتجلى في النصوص السابقة سعة ثقافة ابن الجوزي الدينية ومقدرته على إيراد الحجج والأدلة للإقناع والتأثير في النفوس ، إن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (علامة عصره في التاريخ والحديث. كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد ، ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها. وله نحو ثلاث مئة مصنف)^(١٤).

لقد اشتهر ابن الجوزي بأسلوب الوعظ والإرشاد الديني والفتنة والذكاء وسرعة الخاطر في مجالس الوعظ فكانت تحيط به فئات كثيرة من مختلف طبقات العصر العباسي آنذاك (وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير إليه الرقاع فيجابوب أسرع من طرفة عين)^(١٥).

تتجلى في النصوص السابقة سعة ثقافة ابن الجوزي الدينية ومقدرته على إيراد الحجج والأدلة للإقناع والتأثير في النفوس . فالأفكار الإسلامية غرضها التوجيه والتذكير والهداية خدمة للإنسان ونلاحظ فيها الحيوية والجددة والوضوح والصدق والتحذير ، وذلك لإرتباطها بمهنة الكاتب وهي الوعظ الديني والخطابة في المساجد .

المبحث الثاني : مظاهر اجتماعية

من المظاهر الاجتماعية التي أكدها ابن الجوزي العزلة عن الآخرين ولاسيما الجهلاء من عامة الناس (ما اعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم ولا يعظم عندهم قدر المخالط لهم ولهذا قدر الخلفاء لاحتجابهم وإذا رأى احد العوام احد العلماء مترخضا في أمر مباح هان عندهم فالواجب عليه صيانة علمه وإقامة قدر العلم عندهم)^(١٦). تتجلى سمة اجتماعية في مضمون النص الا وهي عزلة العالم عن عامة الناس قدر المستطاع لأجل الراحة والعزة فغالبية الناس جهلاء لا يدركون مكانة العالم فالبعد عنهم اسلم وهذه الخبرة من خلال التجارب بعد المعاناة من مخالطتهم لأن مخالطتهم تجلب الكدر والضرر وقد عظم شأن الخلفاء والوزراء والرؤساء لأنهم يحتجبون. وكذلك يجب أن يكون العلماء للحفاظ على الهيبة.

ويعلل ابن الجوزي سبب العزلة عن الخلق قائلا: (فإنك لا تكاد ترى إلا شامتا بنكبة أو حسودا على نعمة أو من يأخذ عليك غلطتك فيا للعزلة ما أهدأ ! سلمت من كدر غيبية وآفات تصنع (...)) وتضييع الوقت (...). أما العالم فعلمه مؤنسه وكتبه محدثه والنظر في سير السلف مقومه والتفكير في حوادث الزمان السابق فرجته)^(١٧). يبدو من خلال النص ان الكاتب يفضل العزلة عن الناس ولاكن هذه الحالة لا تناسب مهنة الواعظ الذي يجب ان يلاقي الخلق دوما لحل مشكلاتهم وتوجيههم وهو صادق في تعبيره عن خفايا نفسه فلا اجمل من العزلة. إن اغلب الناس في زماننا شامتون بالمصائب والعثرات ، وحساد على النعم ، فالبعد عنهم هو تخلص من الغيبة والنميمة وكسب للوقت بأمور نافعة كالمطالعة والقراءة والبحث والعبادة. إن رفض المخالطة والاندماج في مجتمع الجهلاء سنة العلماء والمفكرين الذين يصعب بل يستحيل عليهم التكيف مع الأميين وأنصاف المتعلمين حفاظا على النظام وراحة البال وبذلك (حينما تتجرد الأنا من العالم المؤلف للحياة اليومية تشناق إلى وجود أكثر عمقا وأشد أصالة وتتردد بين عزلتها وبين حياة المجتمع اليومية)^(١٨). فالبعد عن الجهلاء والعامه اسلم ومن ثمراتها هدوء البال والعبادة والبعد عن ارتكاب الأثام كالغيبة والنميمة والرياء فقد قيل (العزلة من الناس تقي العرض وتبقي الجلالة وتستتر الفاقة)^(١٩).

ويحذر ابن الجوزي من الانخداع بالأصدقاء. (رأيت نفسي تأنس بخلطاء تسميهم أصدقاء فبحثت بالتجارب عنهم فإذا أكثرهم حساد على النعم وأعداء لا يسترون زلة ولا يعرفون لجليس حقا ولا يواسون من مالهم صديقا (...)) فينبغي أن يعد الخلق كلهم معارف ليس فيهم صديق بل تحسبهم أعداء ولا تظهر سررك لمخلوق منهم ولا تعدن من لا يصلح لشدة لا ولدا ولا أبا ولا صديقا بل عاملهم بالظاهر ولا تخالطهم إلا حالة الضرورة بالتوقي لحظة ، ثم انفر عنهم (...). متوكلا على خالقك فإنه لا يجلب الخير سواه ولا يصرف السوء إلا إياه فليكن جليسك وأنييسك وموضع توكلك وشكواك)^(٢٠).

يتضح في النص أن تجارب ابن الجوزي مرة مع الأصدقاء فالمواقف أظهرت معاندهم والشدائد أثبتت مواقفهم فهم حساد وأعداء لا يسامحون عند الزلل و الخطأ أما أموالهم فلا يساعدون بها أحدا مهما بلغت الصداقة من القوة ، لذلك يفضل أن يعدوا معارف أو أعداء فالمواقف محك الرجال الأوفياء. وحذار من كشف الأسرار والبوح بها أمام الأصدقاء بل يجب أن تكون معاملتهم بالظاهر سطحية ، وخير منهم التوكل على الله فهو الجليس والأنيس وعليه التوكل وإليه الشكوى . ويبدو ان تجربة ابن الجوزي مع الاصدقاء شعورية عانى منها بعد التجارب الواقعية فأخبرنا بصدق عما يجول بخاطره تجاه البشر ويظهر في بداية النص انه كان واهما حينما ظن بوجود الاصدقاء ليذكر بعدها سوء ظنه حيث انكشفت الاقنعة المزيفة حتى انه لا يثق بالأبن والشقيق والصديق علما انهم الأقرب إلى كل إنسان .

ويبين ابن الجوزي كيفية التعامل مع الأصدقاء قائلا: (واستعن على أمورك بالكتمان ولتكن الناس عندك معارف فأما أصدقاء فلا لأن اعز الأشياء وجود صديق ، ذلك أن الصديق ينبغي أن يكون في مرتبة مماثل فإن صادفته عاميا لم تنتفع به لسوء أخلاقه وقلة علمه وأدبه وإن صادفت مماثلا أو مقاربا حسدك (...). فإن أردت العيش فأبعد عن الحسد لأنه يرى نعمتك فرما أصابها بالعين فإن اضطرت إلى مخالطته فلا تنشي إليه سررك ولا تشاوره ولا يغرتك تملقه لك ولا ما يظهره من الدين والتعبد فإن الحسد يغلب على الدين وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل وإن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس)^{٢١}. يركز النص على مضامين عدة مثل كتمان السر وعدم وجود صديق وتجنب الحسد فكتمان الأسرار من أهم سبل النجاة والسلامة من الناس ولاسيما الأصدقاء لذلك يفضل أن لا نتخذهم إلا معارف قد نستفيد منهم أحيانا ، لأن الصديق إذا كان مماثلا لنا في الطبقة الاجتماعية قد يكون حسودا ونرى ذلك في الحياة الواقعية حتى يومنا هذا فالتحاسد يشيع بين الأصدقاء من الأطباء ، والأساتذة ، والصاغة ، والتجار ، والحرفيين لأن الحسد مغروس في النفس والدليل حسد قابيل لأقرب إنسان إليه وهو هابيل فقتله وكذلك إخوة يوسف عليه السلام رموه في بئر وحاولوا قتله حسدا .

فيالرغم من أهمية الصداقة إلا أن كثيرا من الأدباء وذوي الخبرة حذروا من ضرر الأصدقاء وعدم الاعتماد عليهم وقت الشدة إذ قد ينقلب الصديق عدوا والوفى خائنا والطيب شريرا وأكد ذلك احد الأدباء فقال: (لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنبا ولا ستروا لي عيبا ولا حفظوا لي غيبا ولا أقالوا لي عثرة ولا رحموا لي عبرة ولا قبلوا مني عذرة ولا فكوني من أسرة ولا جبروا مني كسرة ولا بذلوا لي نصرة)^{٢٢}.

ويحذر ابن الجوزي من عداوة إنسان حسب التجارب التي مر بها فيقول: (مما أفادنتي تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدا ما استطاع فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يوما كما لا يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه لكن كم محتقر احتجج إليه فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضرر)^{٢٣}. فالتجربة شعورية مر بها الكاتب في حياته الواقعية ويبرهن على صحة كلامه بمثال حقيقي نمر به دوما وهو الحاجة إلى أشياء تافهة ليست ذات قيمة في كثير من الأحيان كالعود المنبوذ أرضا فنكون بأمس الحاجة إليه في أحيان أخرى . إن العاقل هو الذي لا يعادي إنسانا إن استطاع لحاجته يوما إلى ذلك الشخص. إن جميع أفراد المجتمع يحتاج بعضهم بعضا مهما بلغت مكانتهم الاجتماعية وقد أثبتت التجارب صحة ذلك. ومن الحكمة عدم إظهار الكراهية لأحد من الناس (إذا أبغضت شخصا لأنه يسوءك فلا تظهرن ذلك فإنك تنبهه على اخذ الحذر منك وتدعوه إلى المبارزة فيبالغ في حريك والاحتياال عليك بل ينبغي أن تظهر له الجميل إن قدرت)^{٢٤}. فمن الحكمة عدم إظهار العداوة وعدم اليوح لإنسان بمشاعر الكراهة مهما بلغت أخلاقه من التدني وطباعه من القبح ، ويقول الكاتب فكتور هيكو: (تستطيع كل يوم أن تكسب مائة عدو ولكنك تكون سعيدا إذا كسبت صديقا واحدا خلال مائة سنة)^{٢٥}.

ويؤكد ابن الجوزي على ضرورة كتمان الأسرار وعدم اليوح بها فإن (أكثر الناس لا يتمالكون في إفشاء سرهم فإذا ظهر عاتبوا من اخبروا به فوا عجباً! كيف ضاقوا بحبسه ذرعا ثم لاموا من إفشائه (...). ولعمري إن النفس يصعب عليها كتم الشيء وترى بإفشائه راحة خصوصا إذا كان مرضا أو هما أو عشقا (...). ومن العجز إفشاء السر إلى الولد والزوجة ، والمال من جملة السر فاطلاعه عليه يجر المتاعب إن كان كثيرا فرميا تمنوا هلاك الموروث وإن كان قليلا تبرموا بوجوده)^{٢٦}.

يصعب حمل الأسرار عند اغلب الناس فترى الكثيرين يتكلمون عن كل ما شاهدوه وينقلون كل ما سمعوه دونما مناسبة تقتضي سرد ذلك وحدد ابن الجوزي امورا يصعب كتمانها كالمرض الذي يؤدي إلى الهذيان والهيم الذي يقود إلى الحديث راحة للنفس والعشق الذي يظهر مشاعر الهوى وفلتات اللسان دون ضابط وهو يحذر من افشاء السر وإطلاع الزوجة والولد على مقدار المال الذي يملكه الأب لحكمة ربما ادركها بعد تجربة وهي تمنى موته من قبل بنيه ولنسأل سؤالا: (لماذا يتحدث الناس؟ لأن لديهم شيئا يقولونه يعتقدون انه يسر السامعين وأحيانا أخرى لأنه لديهم شيء يقولونه يرغبون من سامعهم أن يصغي إليهم وأحيانا يبادرهم الأفكار والآراء وأحيانا فقط لتفريغ ما في جعبتهم ولكن غالبا ما وغالبا – لجذب انتباه السامع لجذب انتباهه إليهم وإقناعه أو إقناعها أن متحدثهم شخص رائع متفوق مقتدر (...). الحديث ما هو إلا عبارة عن الأناثية)^{٢٧}.

يبدو ابن الجوزي من خلال هذه النصوص مصلحا عالما بالعيوب الاجتماعية فحدد طرائق علاجها وسبل مكافحتها . وهذه النصائح ثمرة تجارب اكتسبها بعدما اندمج بمجتمع العصر العباسي في القرن السادس الهجري حيث كانت الأوضاع الاجتماعية سيئة انذاك فتولدت مثل هذه العيوب الاخلاقية التي حذر منها ويبدو من خلالها ابا حنوننا يرشد بنيهم ويحذرهم من الاخطاء بعد التجارب التي علمته معادن الناس .

الفصل الثاني

مظاهر نفسية وتربوية
المبحث الأول : مظاهر نفسية

من المظاهر النفسية التي عالجها ابن الجوزي الغضب فحدد الوسيلة الصحيحة لمعالجته قائلا : (متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصرا ولا أن تؤاخذ به فإن حاله حال السكران لا يدري ما يجري بل اصبر لفورته ولا تعول عليها فإن الشيطان قد غلبه (...). والعقل قد

استتر ومتى أخذت في نفسك عليه أو أجبته بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنوناً أو كمففق عاتب مغمى عليه فالذنب لك (...). واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى وعرف لك فضل الصبر واقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به. وهذه الحالة ينبغي أن يتلمحها الولد عند غضب الوالد والزوجة عند غضب الزوج فنتركه يشتفي بما يقول ولا تعول على ذلك فسيعود نادماً معتذراً ومتى قوبل على حالته ومقاتته صارت العداوة متمكنة (...). وأكثر الناس على غير هذه الطريق متى رأوا غضبان قابله بما يقول ويعمل وهذا على غير مقتضى الحكمة^{٢٨}. فهو يخاطب القارئ وينصحه بالصمت عندما يغضب صاحبه فخير علاج للغاضب أن يترك ليقول ما يشاء فهو يتكلم بما يهوى دون صحوة العقل الرادع بل يتكلم وفق الهوى والعاطفة فسرعان ما يندم بعد أن يفيق ويعود إليه عقله بعد عاصفة الغضب وثمره ذلك تقوية الروابط الاجتماعية والحفاظ عليها من الانهيار فتتوثق العلاقة بين الوالد وبنيه والزوج وزوجته وهم من الأركان الأساسية في بنية المجتمع وشبه ابن الجوزي بالسكران الفاقد لعقله والمجنون والمغمى عليه وتتجلى خبرة ابن الجوزي بخفايا النفس البشرية إذ إن الغاضب سيهدأ بعد عاصفة الغضب ويبدو ابن الجوزي طبيبياً نفسياً من خلال وصفه لعلاج الغضب (وتظهر آثار الغضب على شكل الإنسان وسلوكه فيتغير لونه وتشدت الرعدة في أطرافه ، أو التشنج على الوجه والشفيتين وتخرج أفعاله عن النظام والترتيب المألوف لديه وتضطرب الحركة ويضطرب الكلام وتتقلب حاله وتظهر له صورة قبيحة وقد يأتي بحركات أو ألفاظ غير مهذبة وقبح باطنه أشد من قبح ظاهره – إذ الظاهر عنوان الباطن – وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتقلت إلى حركات الأعضاء ويظهر أثر ذلك على اللسان بالسب والشتم وقبح الكلام وعلى أعضاء الحركة بالضرب أو التهجم أو التمزيق. فإن عجز عن التشفى بسبب منع الناس له أو الحيلولة بينه وبين موضوع الغضب رجع الغضب على صاحبه في بعض الأحيان فيقوم بتمزيق ثوبه أو لطم نفسه أو إتلاف أدواته^{٢٩}) ولا يجني الغضب لصاحبه سوى الضرر والأسف وهو لا يحس بذلك إلا بعد أن يفيق ويعود إلى رشده (ومن لواحق الغضب الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب ومقت الأصدقاء وشماتة الأعداء واستهزاء الحساد والأراذل من الناس)^{٣٠}.

ومن المظاهر النفسية والعيوب الاجتماعية الحسد (والعين لا تصيب إلا ما يستحسن ولا يكفي الاستحسان في إصابة العين حتى يكون من حاسد ولا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع. فإذا اجتمعت هذه الصفات خيف من إصابة العين فليكن الإنسان مظهراً للتجمل مقدار ما يأمن إصابة العين ويعلم أنه في حيز وليحذر الإفراط في إظهار النعم فإن العين هناك محذورة وقد قال يعقوب لبنيه عليهم السلام ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ سورة يوسف/ الآية ٦٧ وإنما خاف عليهم العين)^{٣١}.

حدد ابن الجوزي الاسس التي تؤدي إلى الحسد فتتكون من امرين الأول أن يكون المملوك شيئاً حسناً والثاني أن يصدر الحسد من شرير الطبع والعلاج هو التوسط في إظهار النعم .

إن العين تصيب كل ذي نعمة وهي تبدر من الشرير الحاسد الذي لا يحتمل رؤية غيره مترفاً منتعماً ، فمن الحكمة عدم التفريط في إظهار النعم والتجمل فلقد خشى يعقوب عليه السلام على بنيه من عواقب الحسد وأضراره إذ كانوا كثيرين فطلب منهم الدخول من أبواب عدة حتى لا يبدوا مجتمعين كثيرين فتصيبهم عيون الحساد الأشرار. ويتجلى في النص الطابع الديني حيث استشهد ابن الجوزي بقصة من القرآن الكريم . إن أسباب الحسد عده (أحدها بغض المحسود ، فيأسى عليه بفضيلة تظهر أو منقبة تشكر ، فيثير حسداً قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرها ، لأنه ليس يبغض كل الناس. والثاني أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه (...). والثالث أن يكون في الحاسد شحٌ بالفضائل ويخل بالنعم وليست إليه فيمنع منها ولا يبده فيدفع عنها لأنها مواهب قد منحها الله ما شاء فيسخط على الله عز وجل في قضائه)^{٣٢}.

إن الحاسد ساخط على قضاء الله كما فعل إبليس إذ حسد آدم فطرد من الجنة فكان معانداً لحكم ربه وكذلك الحال مع الحساد من البشر فهم لا يحتملون رؤية النعمة في غيرهم فتراهم ساخطين قلقين في الليل والنهار غاضبين دوماً كلما شاهدوا أو تذكروا نعمة غيرهم.

ومن المظاهر النفسية التي ذكرها ابن الجوزي التكبر والغرور فقد (طال تعجبي من أقوام لهم أنفة وعندهم كبر زائد عن الحد خصوصاً العرب الذين من كلمة ينفرون ، يحاربون ، يرضون بالقل والذل حتى إن أقواماً منهم أدركوا الإسلام فقالوا: كيف نركع ونسجد فتعلونا استأهنا؟ (...). ومع هذه الأنفة يذلون لمن هم خير منه ، هذا يعبد حجراً وهذا يعبد خشبة وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقرة)^{٣٣}. فهو يستغرب استغراب العاقل الحليم من الاحمق السفيف من أولئك الذين ادركوا الإسلام ولم يؤمنوا بالله تكبراً وتجبراً ورفضاً للركوع والسجود لكنهم لشدة جهلهم وضيق تفكيرهم يعبدون مخلوقات لا تغني شيئاً كالجملات والحيوانات . وتتجلى في النص قوة المقارنة إظهاراً للتباين والجهل والضلال .

ان بواعث الغرور والتكبر كثيرة منها :

(١- الرغبة بعدم الخضوع لأحد وقد تمتد هذه الرغبة في أقصى مداها إلى التمرد على طاعة الله كما فعل إبليس. ٢- الطموح الجامح إلى الامتياز على الآخرين والرغبة المجنونة باحتلال المرتبة المتفوقة ولو بغير حق. ٣- الرغبة بإخفاء ما يشعر به المستكبر من نقص في ذاته أو في عمله وهو حريص على أن يكون في أعين الناس كبيراً وأن لا يكشفوا نقصه)^{٣٤} ولا يكون التواضع إلا مع الحياء وطهارة النفس والعفة والوقار. ولا يولد الغرور إلا من الجهل والحماسة والسفه فيظن المتكبر انه افضل الناس نسبا واغناهم مالا واكثرهم علما كما هو حال الكثيرين من حديثي النعمة الجهلاء .

يبدو للباحث من خلال ذلك أن ابن الجوزي طبيب نفسي استطاع تحديد الأمراض النفسية وسبل مكافحتها وعلاجها .

المبحث الثاني : مظاهر تربوية

عظّم ابن الجوزي قيمة الوقت قائلاً: (ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قرية ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل)^{٣٥} . وهذه النصيحة غرضها استثمار الوقت بأمرور نافعة للفرد فالعاقل هو الذي يستثمر وقته بما هو مفيد من الأعمال كالعبادات وطلب العلم ، والعمل المفيد. ويحدد ابن الجوزي طريقة استغلال الوقت (والذي يعين على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمكن والاختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقي وقلة الكل فإن كثرت سبب النوم الطويل وضياح الليل - ومن نظر في سير السلف وأمن بالجزاء بأن له ما ذكرته)^{٣٦} يتضح في رأي ابن الجوزي أن خير وسيلة لاغتنام الوقت هي العزلة والبعد عن الآخرين وإن اجبر فالسلام والكلام المختصر بكفيان - على العكس مما يفعله الجهلاء - وإذا أرقق الإنسان نفسه وحملها فوق طاقتها كان الضرر عليه واضحا كبيرا فيلجأ إلى نوم عميق ويضيع عليه الوقت الكثير. وتتضح هنا رؤية ابن الجوزي التربوية لأن (توفير الظروف الملائمة للتعلم قد حبيب إلى نفسه العلم والشغف الشديد بأماكن التعلم والتعلق بالكتب وجعل ذلك غاية تتضاءل دونه غايات النفس المتشبهة بالأعراض الزائلة من مال وجاه وولد (...)) عرف ابن الجوزي قيمة الوقت ، فانصرف عن اللهو والعبث وكان كل وقته مستثمرا في تعلم الجديد والاستزادة من المعلومات حتى أصبحت له في كل علم مشاركة)^{٣٧} .

وينتقد ابن الجوزي ظاهرة تضييع الوقت وعدم استثماره قائلاً : (رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا. إن طال الليل فيحديث لا ينفع ، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر وإن طال النهار فيالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق. فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر)^{٣٨} ومن الجدير بالذكر إن إضاعة الوقت تسود بين الجهلاء من العامة وبين المتعلمين من الخاصة فتراهم يضيعون في مناقشات عقيمة وأحاديث تافهة أو في العاب ملهية وهذا الهدر الكبير للوقت من أكبر المخاطر التي ادت إلى تأخر مجتمعاتنا وعدم مواكبتها للتطور الحضاري (عندما نقرأ شمائل رسولنا عليه الصلاة والسلام نقرأ في جملة ما نقرأ أنه كان يقسم وقته فقسم للعامة وقسم للخاصة وقسم لعبادة ربه وقسم لأسرته فليس هناك زمن مهدر وهكذا المسلم فإنه لا يوجد عنده زمن ضائع)^{٣٩} .

وينصح ابن الجوزي طلبية العلم بعدم إنهاك الجسد والفكر أثناء المطالعة فإن (المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة ومن الغلط الانهماك في الإعادة ليلا ونهارا فإنه لا يلبث صاحب هذه الحال إلا أن يفتقر أو يمرض (...)) فليأخذ الإنسان على قدر قوته ودونها فإذا استفدها في وقت ضاعت منه أوقات كما أن الشَّره يأكل فضل لقيمات فيكون سببا إلى منع أكلات والصواب أن يأخذ قدر ما يطيق ويعيده في وقتين من النهار والليل (...)) فكم ممن ترك الاستذكار بعد الحفظ فضاع زمن طويل في استرجاع محفوظ. وللحفظ أوقات من العمر فأفضلها الصِّبا أو ما يقاربه من أوقات الزمان وأفضلها إعادة الأسحار وأنصاف النهار والغدوات خير من العشيات وأوقات الجوع خير من أوقات الشبع ولا يَحمد الحفظ بحضرة خضرة ، وعلى شاطئ نهر لأن ذلك يلهي والأماكن العالية للحفظ خير من السواقل (...)) وترفيه النفس من الإعادة يوما في الأسبوع ليثبت المحفوظ وتأخذ النفس قوة كالبنين يترك أياما حتى يستقر ثم يبني عليه وتقليل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم وأن لا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله ومن لم يجد نشاطا للحفظ فليتركه (...)) وأختار للمبتدئ في طلب العلم أن يدانع النكاح مهما أمكن فإن احمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له أربعون سنة وهذا لأجل جمع الهم فإن غلب عليه الأمر تزوج)^{٤٠} .

نتضح في النص ابرز القضايا التربوية والتعليمية التي حددها ابن الجوزي ويمكن حصرها في الأمور

الآتية:

- ١ . عدم الانهماك في إعادة الدرس في الليل والنهار وبكثرة.
- ٢ . تكرار القراءة مرتين في الليل والنهار فالإعادة تؤكد المحفوظ فيستقر في العقل ويدوم مدة أطول.
- ٣ . الحفظ في الصبا والشباب أفضل ، وذلك لصفاء الفكر وراحة النفس.
- ٤ . الإعادة في وقت السحر أو في الصباح الباكر أو في الظهيرة أفضل من المساء.

٥. الحفظ في وقت الجوع أفضل من وقت الشبع والتخمة ولا يقصد هنا الجوع المفرط والذي يؤدي إلى تشتت التركيز وضياح المقروء.
٦. تجنب الحفظ في الرياض والأماكن الخضراء وقرب شواطئ النهر لأنها تشغل الفكر ؛ لذلك تفضل الأماكن العالية لبعدها.
٧. التدرج في القراءة فإن أكمل وأتقن دراسة فن فلينتقل إلى آخر.

إن تحديد وقت كالصباح أو الغدوات للمطالعة لا يخضع لقانون علمي فطلبة العلم متفاوتون في ذلك كل حسب طبيعته ومزاجه (وذلك لاختلاف أحوالهم وتفاوت إمكانياتهم فبعضهم يفضل الدراسة في وقت الصباح الباكر بعد صلاة الفجر بين الساعة الخامسة والسابعة وأيضاً بين الساعة الخامسة عصراً والساعة التاسعة ليلاً)^{٤١} أما اختيار المكان فيفضل أن يخلو من كل ما يشغل ويشتت التركيز وطلبة العلم متفاوتون في اختيار المكان فمنهم من يفضل الجلوس في مكان واحد ، ومنهم من يفضل السير والانتقال في أماكن مفتوحة فالمهم هدوء المكان وخلوه من الضوضاء (إن لاختيار المكان أثراً في عملية الدراسة وذلك للعلاقة النفسية بين المكان والدراسة بحيث إن مجرد التواجد في مكان معين يكفي لاستثارة الفرد وبهيبته للقيام بأفعال مناسبة لذلك يفضل ألا يكون المكان فيه مناظر ملصقة تجذب الانتباه أو أصوات تذهب التركيز)^{٤٢}.

ويفضل ابن الجوزي تأليف الكتب والتصانيف على التدريس والتعليم قائلاً: (رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد. ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد فإنه ليس كل من صنف صنف. وليس المقصود جمع شيء كيف كان وإنما هي أسرار يُطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده ويوقفه لكشفها فيجمع ما فرق أو يرتب ما شئت أو يشرح ما أهمل هذا هو التصنيف المفيد)^{٤٣}. فالتأليف خير من التدريس لأن عدد المتعلمين من قراءة تصانيفه سيكونون أكثر ويزدادون بمرور الزمن فالكتب خالدة في كل العصور ولاسيما إن كانت مفيدة مثمرة. وصدق في ذلك إذ إن مؤلفاته خالدة تقرأ حتى يومنا هذا وقد تجاوزت الثلاثمائة كتاب وما زال طلبة العلم ينهلون منها وهو مع هذه الغزارة في التأليف استطاع المشافهة في تعليمه لآلاف الطلبة .

ومن المظاهر التربوية التي يؤكد ابن الجوزي التوسط في إظهار مشاعر الحب تجاه الزوجة والولد كي لا يغتران بدلاله فيرهق الأب (فإذا أعجبتك صورة امرأة فتأمل خلالها الباطنة مُدبدة قبل أن يتعلق القلب بها تعلقاً محكماً فإن رأيتها كما تحب واصل ذلك الدين (...). فمل إليها واستولدها وكن في ميلك معتدلاً فإنه من الغلط أن تظهر لمحبوبك المحبة فإنه يشتت عليك وتلقى منه الأذى والتجني والهجران والإذلال وطلب الإنفاق الكثير (...). وكذا ينبغي أن تكتم بعض حبك للولد لأنه يتسلط عليك ويضيع مالك ويبالغ في الإدلال ويمتنع عن التعلم والأدب)^{٤٤}. بهذه الوسيلة يفتح ابن الجوزي صورة المرأة ليعرض عنها أصحاب الشهوات

وهو يفضل اختيار الزوجة الصالحة ويحذر من إظهار الحب والبوح بالإعجاب بها لأنها ستغتر بذلك وتزداد مطالبها وتهدد بالهجر فيزداد زوجها ذلة وهما. ويجب عدم إظهار الحب الكثير للولد كذلك لأنه سيطلب المال الكثير ويبيزه وينقاد إلى الهوى والعصيان والتمرد على الأب . لقد احس ابن الجوزي بضرورة نقد الواقع ومحاولة تغييره خدمة لأبناء وطنه ودينه (وذلك من خلال ما ينتج من فكر في ميادين شتى وما يسهم به من حلول للقضايا الكبرى التي تشغل بال أمته ويعاني منها مجتمعه وذلك هو الذي نعنيه في هذا المقام وقد لفتت انتباه الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - جملة من القضايا الكبرى فراح يتأملها محلاً ومناقشاً لها حيناً وغاضباً ساخطاً (...). عبّر من خلالها الإمام ابن الجوزي عن هذه القضايا والآراء بوسائل متعددة منها التصنيف والتدريس والمذاكرة ومنها مجالس الدعوة والوعظ والإرشاد)^{٤٥}.

الفصل الثالث

مظاهر اقتصادية وصحية

المبحث الأول : مظاهر اقتصادية

يحذر ابن الجوزي من الإسراف وإتلاف المال قائلاً (وإذا حصل بيدك شيء فأنفق بعضه وادخر لعدك فبحفظ الباقي تحفظ شتات قلبك واحذر كل الحذر من هذا الزمان وأهله فما بقي مواس ولا مؤثر ولا من يهتم لسد خلة ولا من لو سئل أعطى إلا أن يعطي نذراً بتضجر ومنه يستعبد به المعطي بقية العمر ويستثقله كلما رآه أو يستدعي بها خدمته له والتردد إليه)^{٤٦}.

يوصي ابن الجوزي بالاقتصاد وادخار المال لطواريء الدهر ومحن الزمان فلم يبق كرام الناس الذين يلجأ إليهم الإنسان عند الحاجة ، وإذا طلبت المال من لئيم تكبر عليك وتجبر وفقدت هيبتك فالمال (له من الأهمية في نظر الإسلام وحياة المسلمين فعلى المال تتوقف مصالح الناس وبالمال يدبرون شؤون حياتهم في دنياهم وبه

تنتظم أمورهم وتقضى حوائجهم وترعى مصالحهم ويسببه تكثر النزاعات والخصومات بينهم ولأهميته وعظيم منفعته وقدره تولى الله أمره بنفسه فبين قيمته وأبرز خطورته وحث على طلبه وأوصى بحفظه وعدم تبذيره أو احتكاره والإسراف فيه أو البخل به^{٤٧}.

وبين ابن الجوزي قيمة المال وفائدته (ومعلوم أن المال لا يراد لنفسه بل للمصالح فإذا بذر الإنسان فيه احتياج إلى بذل وجهه ودينه ومنة البخلاء عليه وهذا لا يصلح ولأن يخلف الإنسان لعدوه أحسن من أن يحتاج إلى صديقه)^{٤٨} فبدون المال يعجز الفرد عن تحقيق أبسط متطلباته فيلجأ إلى الأراذل لذلك فالإقتصاد وعدم الإسراف من دلائل الفطنة والذكاء فإن الإنسان دون مال يفقد الكرامة لذلك أوصى الإسلام بالزكاة حتى (يحفظ للفقراء قواهم البدنية بهذه الرعاية والكفالة فإن لهم أفواها ومعى وأجسادا ولهم قلوب ومشاعر وعواطف ولهم كرامة ولا بد من أن تصان هذه الأجسام وأن تراعى هذه القلوب والمشاعر وأن تحفظ هذه الكرامات وما ينبغي أن تهدر كرامة فقير والفقير هو أعظم مهدر للكرامة)^{٤٩}.

ويوصي ابن الجوزي بتقليل الإنجاب وتنظيم النسل لتحدي الفقر (فما بقي من يوماً إليه بمعونة ولا باستقراض ، فيحتاج الإنسان المؤمن أن يدخل في مداخل لا تليق به وأن يتعرض بما لا يصلح فينبغي تقليل العائلة ، وتقوية القوت وترقيع الخلق وإن أمكن معاش فهو أولى من التشاغل بالتعب والتعلم لفضول العلم ، وإلا ضاع الدين في مداخل لا تصلح أو التعرض لبذل نذل)^{٥٠}. ولقد عانى ابن الجوزي من ابنه العاق زمن المحنة إذ كان مشاكسا فتجربته شعورية واقعية إذ (كان له من الأولاد الذكور ثلاثة : عبد العزيز وهو أكبرهم مات شابا في حياة والده سنة أربع وخمسين ثم أبو القاسم علي وقد كان عاقا لوالده إلبا عليه في زمن المحنة وغيرها وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسطة فباعها بابخس الثمن ثم محيي الدين يوسف وكان انجب أولاده فاصغرهم ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه واشتغل وحرر واتقن وساد أقرانه ثم باشر حسبة بغداد ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد)^{٥١}

يرى ابن الجوزي إن الأشراف الذين يمكن اللجوء إليهم وقت الحاجة قد انعدموا لذلك يوصي بتقليل الإنجاب وادخار القوت والتحصن بعمل شريف للتخلص من الحاجة إلى اللئام السفلة كما قال الحكماء : (لا مال لكثير العيال. الجاهل يتخذ العيال قبل المال. استظهر على الدهر بخفة الظهر)^{٥٢}.

ويحذر ابن الجوزي من كثرة النساء فإن (أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء. إنه أولاً يتشتت همه في محبتين ومداراتهن وغيرتهن والإنفاق عليهن (...)) ولو سلم من جميع ذلك لم يسلم في الكسب لهن (...)) والعاقل من يقتصر على الواحدة إذا وافقت غرضه ولا بد أن يكون فيها شيء لا يوافق إنما العمل على (الغالب)^{٥٣}. ففي هذه الحالة سيواجه الإنسان صعوبات عدة كالفقر وعدم القدرة على المساواة والمعاناة من الغيرة وصعوبة الأنفاق والكسب (فأولى بنا أن نختار شريكة العمر وقرينة الحياة من ذوات العفة والطهر وإن نصطفي الزوجة التي جعلها الله لباسا وسكنا ومودة ورحمة من أهل الدين والتقوى. ومعلوم بدهاء أن النساء مختلفات في الطباع متباينات في الأخلاق فمنهن الصالحة القاننة ومنهن العاصية الفاجرة)^{٥٤}.

ويوصي ابن الجوزي بالكسب والعمل إذ (العاقل يدبر بعقله عيشه في الدنيا فإن كان فقيرا اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق وقلل العلائق واستعمل القناعة فعاش سليما من منن الناس عزيزا بينهم وإن كان غنيا فينبغي له أن يدبر في نفقته خوف أن يفترق فيحتاج إلى الذل للخلق ومن البلية أن يبذر في النفقة ويباهي بها ليكمد الأعداء)^{٥٥}.

والادخار أو الإقتصاد مسؤولية الزوج والزوجة فينبغي (أن ينظر العاقل في ماله فيكسب أكثر مما ينفق ، ليكون الفاضل مدخرا لوقت العجز. وليحذر السرف فإن العدل هو الأصلح ، ثم ينظر في الزوجة والمطلوب منها شيان: وجود الولد وتدبير المنزل فإن كانت مبدرة فعييب لا يحتمل فإن انضمت صفة العقر فلا وجه للامساك إلا أن تكون مستحسنة الصورة فإن ضم إليها عقل وعفاف حسن الإمساك)^{٥٦}.

إن من أبرز واجبات الزوجة تربية الأولاد والتدبير وهي بذلك تستطيع أن ترفع الأعباء عن كاهل الزوج فتصبح شخصا فعالا ايجابيا وتسهم في بناء الأسرة وتماسكها (إن الإسلام يوصي بالمحافظة على الفرد والناس سواء بسواء ويوصي أيضا بالاكتمال الشرعي والحلال للأموال مع احترام جميع الممتلكات والحريات والحقوق الخاصة والعامة وهنا يكمن أساس التوازن الاجتماعي والاقتصادي الذي يحقق سلاما عادلا بين جميع الناس)^{٥٧}.

يبدو للباحث سعة ثقافة ابن الجوزي الاقتصادية فقد اوصى بالاقتصاد والتدبير والادخار والحفاظ على المال من التبذير والضياع ويلقي المسؤولية على كاهل الزوجة بالدرجة الأولى وكذلك يوصي بتحديد النسل وتقليل الزوجات والاعتماد على مهنة أو عمل لكسب العيش وعدم الحاجة إلى اللئام. لقد عاش الكاتب في مرحلة اتسمت بقسوة الحياة الاقتصادية من غلاء وجشع وجوع وفقير فحدد لنا سبل التصدي لمثل تلك الظروف التي لا ترحم الفقراء والضعفاء .

المبحث الثاني : مظاهر صحية

من المظاهر الصحية التي حذر منها ابن الجوزي الإسراف الجنسي فإنه (ينبغي للصبي إذا بلغ أن يحذر كثرة الجماع لئلا يقي جوهره فيفديه ذلك في الكبر ، لأنه من الجائز كبره والاستعداد للجائز حزم فكيف للغالب؟ كما ينبغي أن يستعد للشتاء قبل هجومه ومتى انفق الحاصل وقت القدرة تأذى بالفقر إليه وقت الفاقة وليلعلم ذو الدين والفهم أن المتعة إنما تكون بالقرب من الحبيب والقرب يحصل بالتقريب والضم وذلك يقوي المحبة. والمحبة يلذ وجودها والوطء ينقص المحبة ويعدم تلك اللذة وقد كان العرب يعشقون ولا يرون وطء المعشوق. قال قائلهم: إن نحح الحب فسد فأما الالتذاد بنفس الوطء فشان البهائم ولقد تأملت المراد من الوطء فوجدت فيه معنى عجيبي يخفى على كثير من الناس وهو أن النفس إذا عشقت شخصا أحببت القرب منه فهي تؤثر الضم والمعانقة لأنهما غاية في القرب ثم تريد قربا يزيد على هذا فيقبل الخد ثم تطلب القرب من الروح فيقبل الضم لأنه منفذ إلى الروح ثم تطلب الزيادة فيمص لسان المحبوب وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتوشح عائشة ويقبلها ويمص لسانها فإذا طلبت النفس زيادة في القرب إلى النفس استعملت الوطء فهذا سره المعنوي ويحصل منه الالتذاد الحسي^٨ . يحذر ابن الجوزي الصبيبة من الإسراف الجنسي كالطبيب الذي يصف العلاج للعليل لأن ذلك يؤدي ويضعف القوى وينهك الجسد بينما الضم أو التقبيل يزيد الزوجين متعة وينمي المحبة فلا حدود لمتعة القبل والعناق وهو أمر يخفى على الجهلاء من الشباب ومن الكبار إذ الحب يكون بالقرب من المحبوب أما الاعتقاد بأن المتعة في الوطء لا غير فهو شأن الجهلاء ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الموضوعات تخفى على الكثيرين ويخيم عليها الغموض والخوف والخجل وتوضيحها وتعليمها مهمة يجب أن يتولاها المربيون كالأباء والتربويين والفقهاء. وهدف ابن الجوزي من ذكر ذلك توجيه الشباب مراعاة للصحة والسلامة البدنية (ومن الشهوات التي كان ابن الجوزي يحرص على الاعتدال فيها شهوة إتيان النساء وقد أفصح عن الهدف من ذلك (...)) ومنهج ابن الجوزي في تربية البدن التوسط والتوازن في كل ما يأتي الإنسان وما يدع إلا من أراد التشديد على نفسه وبدنه^٩ .

إن حكمة النكاح ليست المتعة فحسب كما يظن كثيرون فيتخذون المرأة وسيلة للشهوة الجنسية ويرهقون أنفسهم علما أن فوائد النكاح هي (الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن^{١٠} .

ويؤكد ابن الجوزي أن حكمة النكاح وجود النسل ودفع الأذى فلقد (تأملت في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل (...)) ولما كانت صورة النكاح تأباها النفوس الشريفة من كشف العورة وملاقة ما لا يستحسن لنفسه جعلت الشهوة تحت عليه ليحصل المقصود وتم رأيت هذا المقصود الأصلي يتبعه شيء آخر وهو استقراغ هذا الماء الذي يؤدي دوام احتقانه^{١١} .

فمن فوائد النكاح استمرار النسل وكسر الشهوة التي يحث عليها الهوى للتخلص من الاحتقان لتكديس السائل المنوي في الجسم المسبب للألم والقلق والأذى . والهوى (معناه ميل النفس إلى الشهوة وسُمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل ما تستهويه النفس والشيطان في الآخرة إلى الهاوية (...)) ومقاومة الهوى فضيلة من فضائل الإسلام).

ومن المظاهر الصحية التي وضحها ابن الجوزي النظافة فلقد (تلمحت على كثير من الناس إهمال أبدانهم فمنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الأكل ومنهم من لا ينقي يديه في غسلهما من الزهم ومنهم من لا يكاد يستاك وفيهم من لا يكتحل وفيهم من لا يراعي الإبط إلى غير ذلك ، فيعود هذا الإهمال بالخلل في الدين والدنيا. أما الدين فإنه قد أمر بالتنظيف والاعتسال للجمعة لأجل اجتماعه بالناس ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثوم وأمر الشرع بتنقية البراجم وقص الأظفار والسواك والاستحداد وغير ذلك من الآداب فإذا أهمل ذلك ترك مسنون الشرع وربما تعدى بعض ذلك إلى فساد العبادة مثل أن يهمل أظفاره فيجمع الوسخ المانع للماء في الوضوء أن يصل. وأما الدنيا فإنني رأيت جماعة من المهملين أنفسهم (...)) ولعل أكثرهم من وقت انتباههم ما أمر إصبعه على أسنانه ثم يوجب مثل ذلك نفور المرأة وقد لا تستحسن ذكر ذلك للرجل فيثمر ذلك التفاتها عنه^{١٢} . يدعو ابن الجوزي الفرد إلى النظافة والعناية بالمظهر فهذا من دلائل الذوق والثقافة وقد أوصى بها الدين الإسلامي لأنها تبعث على الراحة وفيها سلامة البدن من العلل والأمراض الصارفة فضلا عن ضررها البالغ في المخالطين من أفراد المجتمع ومن المظاهر السلبية الشائعة في المجتمع الفذارة وإهمال الأبدان ومن ذلك إهمال تنظيف الفم واليدين بعد الطعام ، وإهمال الإبط وما يصحبه من رائحة قذرة ، علما أن الدين الإسلامي الحنيف أمر بالاعتسال لصلاة الجمعة حيث التقاء المسلمين للصلاة ، وكذلك أمر بقص الأظفار لما تجتمع من أقدار تجلب الأمراض وهذا الإهمال فضلا عن ضرره في صحة الفرد يؤدي إلى نفور المقربين منه ولاسيما زوجته وهي أفكار مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف والسنة النبوية الشريفة قبل أن يتوصل إليها الأطباء فالاعتسال يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية والحيوية والشعور بالراحة فضلا عن نظافة الفم واليدين والإبط وهذه الأمور تحبب الرجل إلى زوجته وكل من يخالطهم . ويلاحظ أن ابن الجوزي أكد على ضرورة نظافة الجسد والمظهر لحاجة المرء إلى ذلك في

البيت وخارجه إذ يلاقيه كثيرون خارج المنزل كالاصدقاء والمعارف والاقارب وغيرهم (أما ابن الجوزي ، على الرغم من عنايته بالنفس الإنسانية فإنه لم يهمل في مشروعه الدعوي الإصلاحية الحديث عن تربية البدن والرفق به ، فهو عنده كالراحلة للمترجل ، والمرء مطالب بالاعتناء بجسمه ومختلف حواسه حتى يقوى بأداء دوره المنوط به على أكمل وجه)^{٦٣} .

لقد أهمل كثيرون من أفراد مجتمعنا سنن الإسلام ولاسيما في النظافة والمظهر منبهرين بحضارة الغربيين التي استنقت من ديننا مظاهر الحضارة والنظافة (وحين كان المسلمون متغلبين في قيمهم ومنهجهم وفكرهم قلداهم الأوربيون طبقا لناموس الكون الذي يقلد فيه المغلوب الغالب ولكن عندما انقلبت الآية فقدنا ما كان عندنا واحتفظوا هم ببعض ما أخذوه عنا فنجد في الغرب النظافة والنظام والدقة في العمل والمحافظة على المواعيد والصدق في القول وكل هذه قيم إسلامية تناسيناها وصارت مجتمعاتنا فاقدة لكثير من الصفات التي تجري في عروقنا)^{٦٤} .

لقد تمثلت في كتاب صيد الخاطر مظاهر ثقافية عدة استطاع من خلالها ابن الجوزي اقناعنا مضميا عليها الكثير من تجاربه الشخصية وخبراته الذاتية إذ (لم يعد الوعظ التقليدي القائم على التخويف والردع بمجد في زمان تطورت فيه مع تطور الحياة وسائل الإعلام وأصبح هدفها كسب السامعين عن طريق مخاطبة عقولهم والتأثير على عواطفهم بالإقناع القائم على عرض الحقائق. وقد استدعى كل ذلك أن يكون للإمام أو للموجه الديني دور في الحياة المعاصرة يختلف عن دوره التقليدي)^{٦٥} . ومن سمات الافكار التي وردت في كتاب صيد الخاطر:

- ١- التنوع
- ٢- الوضوح
- ٣- الصدق
- ٤- عمق المضامين
- ٥- شيوع الطابع الديني
- ٦- تكرار بعض المضامين

إن الافكار التي وردت في الكتاب ذات قيمة لطبقات المجتمع كله فهي افكار سامية صدرت من اديب فاضل اراد لنا الخير والنجاة .

الفصل الرابع الجوانب الفنية

المبحث الاول - المستوى الاسلوبي :

التكرار :

يشيع التكرار في اسلوب ابن الجوزي ويشكل ظاهرة بارزة كالفعل رأيت فقال : (رأيت من البلاء العجائب أن المؤمن يدعو فلا يجاب فيكرر الدعاء وتطول المدة)^(٦٧) و (رأيت أكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين فمنهم من لا يعرف الخالق ومنهم من يثبت على مقتضى حسه)^(٦٨) و (رأيت نفسي كلما صفا فكرها او اتعظت بدارج او زارت قبور الصالحين تتحرك همتها في طلب العزلة)^(٦٩) ان الفعل رأيت يشير إلى التجربة الفعلية الواقعية عن طريق المشاهدة الحسية البصرية ويدل تكرارها على التأكيد إذ التكرار (دلالة اللفظ على المعنى مرردا كقولك لمن تستدعيه اسرع فغن المعنى مررد واللفظ واحد (...) فأما الذي يأتي لفائدة فانه جزء من الاطناب (...) وليس كل اطناب تكريرا يأتي لفائدة وأما الذي يأتي من التكرار لغير الفائدة فانه جزء من التظويل)^(٧٠) وتكرر الفعل تأملت في الكتاب إذ قال : (تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك وفخوخ تلف)^(٧١) . و (تأملت جهاد النفس فرأيت أعظم الجهاد)^(٧٢) و (تأملت على نفسي تأويلا في مباح)^(٧٣) .

ان الفعل تأملت يتضمن معنى التبصر والتمعن احساسا بالواقع وضرورة اصلاحه . وتكرر فعل الامر اعلم في اكثر من موقع فقال (اعلم ان شرنا مضبوط الاصول محروس القواعد)^(٧٤) . و (اعلم ان المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة)^(٧٥) و (اعلم ان الله عز وجل وضع في النفوس اشياء لا تحتاج إلى دليل)^(٧٦) . أن فعل الامر اعلم يدل على طلب القيام بالفعل وهو التعلم من قبل المخاطب - القاريء- ويدل تكراره على تأكيد طلب التعلم كما يدل على مهنة الكاتب اب الجوزي وهي الوعظ والتعليم لقد لجأ إلى التكرار للتبنيه والتوكيد والاهتمام لذلك ورد عن العرب هذا الاسلوب (ومن مذاهيم التكرار ارادة التوكيد والافهام)^(٧٧) .

الطول والقصر :

وتتباين كتابات ابن الجوزي من حيث الطول والقصر فتأتي طويلة تبلغ صفحتين كحديثه عن فوائد العزلة ، وفلسفة الصبر ، والعشق الصحيح ، فضائل المخالطة^(٧٨) وقد تبلغ اربع صفحات كحديثه عن خطر الجدل في علم الكلام^(٧٩) وقد تأتي قصيرة تبلغ ثلاثة اسطر كحديثه عن الحذر من الوقوع في حبال الشيطان ، او اربعة

ومن الفنون البديعية في كتاب صيد الخاطر الطباقي وهو الجمع بين المعنى وضده وسبب قوته هو ان تضادا ينشأ بين الكلمات فتبرز ايقاعاتها بوضوح لتبعث في الاسماء نشوة وحلاوة .
ورد الطباقي في حديث ابن الجوزي عن تغلب الزمان إذ يقول: (فتارة فقر وتارة غنى ، وتارة عز وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الاعادي)^(٩٧) يتجلى الطباقي بين الفقر والغنى ، والعز والذل ، والموالي والاعادي . وقال مخاطبا النفس : (فتلحمي الاموات والاحياء وانظري إلى من نشر ذكره بالخير والشر وزيادة ذلك ونقصانه)^(٩٨) . نلمح الطباقي بين الاموات والاحياء ، والخير والشر ، والزيادة والنقصان .
ومن الفنون البديعية الواردة في الكتاب السجع فلقد (احتفظ السجع لمدة طويلة بالارتباطات الدينية التي كانت له بالجاهلية والتي اصبحت مقدسة للمسلمين جميعا في القران وقد بدأ حوالي منتصف القرن التاسع للميلاد - الثالث للهجرة - بالظهور في خطب الخلفاء وعمالهم وقد تطور اكثر على يد وعاصم محترفين)^(٩٩) . قال ابن الجوزي : (بحمد الله تعالى قد نجز ما توخاه الفكر الفاتر من تقييد ما جمعه القلم من صيد الخاطر مقتصرافيه على ما به التخلي من الامراض النفسية والتخلي بالاداب الشرعية والاخلاق المرضية . جعله الله تعالى خير هاد على منبر الوعظ والارشاد وانفع كتاب تجلى في مرآيا الظهور لهداية العباد)^(١٠٠) . يتجلى السجع بين الفاتر والخاطر ، النفسية والشرعية ، هاد وارشاد وعباد . وقال مستغربا : (واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود)^(١٠١) . ومن الفنون البلاغية التي وظفت في الكتاب الاقتباس . قال ابن الجوزي : (تأمل اخوة يوسف عليهم السلام فانهم عزموا على التوبة قبل ابعاد يوسف فقالوا : (اقتلوا يوسف) ثم زاد ذلك تعظيما فقالوا : (او اطرحوه ارضا) ثم عزموا على الانابة فقالوا :
(وتكونوا من بعده قوما صالحين) سورة يوسف / الآية ٩ . فلما خرجوا به إلى الصحراء هموا بقتله بمقتضى ما في القلوب من الحسد فقال كبيرهم : (لاقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب)
سورة يوسف / الآية ١٠ . ولم يرد ان يموت بل يلتقطه بعض السيارة فأجابو إلى ذلك . والسبب في هذه الاحوال ان الايمان في قمع النفوس يكون على حسب قوته فتارة يرد لها عند الهم وتارة يضعف فيردها عند العزم)^(١٠٢) .
زين ابن الجوزي كلامه بأيات من القران الكريم مستشهدا من خلالها بدرجات الايمان واصناف الذنوب فهو حافظ للقران الكريم واعظ وخطيب بليغ فاذا عرف الاديب (مواقع البلاغة واسرار الفصاحة المودعة في تاليف القران اتخذه بحرا يستخرج منه الدر والجواهر)^(١٠٣) .
نتضح في النصوص السابقة ثقافة ابن الجوزي اللغوية والبلاغية وقدرته على صياغة الاساليب البيانية والبديعية بأسلوب ينسم بالدقة والجمال ومن ملامح اسلوبه في الكتاب :

- ١- الحوار مع القاريء
- ٢- الخطاب
- ٣- تكرار قسم من الالفاظ
- ٤- قوة البيان
- ٥- بساطة الالفاظ والتركيب ليسهل فهمها من قبل جمهور القراء
- ٦- شيوع الطابع الديني الإسلامي في اغلب مفردات الكتاب
- ٧- ايراد السيرة الذاتية احيانا لإقناع القاريء بتجارب واقعية

الخاتمة

تجسدت مظاهر الثقافة المتنوعة في كتاب صيد الخاطر . فمن الموضوعات الدينية عظيمة الخالق عز وجل ، ولطفه في تكوين الإنسان وخلقته ، والتذكير بالموت والفناء ، والتحذير من الذنوب والمعاصي . ومن الموضوعات الاجتماعية التي بينها ابن الجوزي فضل العزلة عن العامة لتجردهم عن الفضيلة والوفاء ، وحذر من الأصدقاء فهم حساد شامتون لذلك أوصى باتخاذ الناس معارف فحسب لأنهم لا يحافظون على الاسرار ، ويحذر من عداوة إنسان لاحتمال الحاجة إليه يوما ، وأكد على ضرورة كتمان الاسرار ومن المظاهر النفسية التي عالجه ابن الجوزي الغضب وضرره ، وحذر من الحسد وخطره ، وانتقد ظاهرة التكبر لدى الكثيرين بسبب الجهل . ومن المظاهر التربوية التي أكدها ابن الجوزي استثمار الوقت بما هو نافع من خلال العزلة والاقتضار على السلام ، وحذر من إتهاك الجسد والفكر بالمطالعة الطويلة وهو يفضل تكرار المقروء مرتين ليستقر في الذهن ، ويفضل الحفظ في الصبا والشباب ، ويبين أن الإعادة في أوقات السحر والصباح الباكر خير من الظهيرة ، والظهيرة خير من المساء . والحفظ أثناء الجوع خير من وقت الشبع ويحذر من الحفظ في الرياض وقرب الشواطيء لأنها تشغل الفكر لذلك فضل الأماكن المرتفعة لبعدها . وهو يفضل تأليف الكتب ويرى أنها خير من التدريس لأن قراء الكتب خالدون كثيرون وعن طريقهم يتحقق الأجر والثواب وتحصل الفائدة ، وحذر ابن الجوزي من الإسراف في إظهار الحنان للولد والزوجة فالتوسط في ذلك أفضل حتى لا يتمردا أو يطلبا الإنفاق الكثير ، وهو يفضل اختيار زوجة سالحة ويحذر من إظهار الحب لها لأنها ستعتر وتزداد مطالبها وتهدد بالهجر .
ومن المظاهر الاقتصادية التحذير من الإسراف وإتلاف المال والتوصية بالاقتصاد وادخار المال لطوارئ الدهر ، ويوصي ابن الجوزي بتقليل الإنجاب وتحديد النسل خوفا من الفقر والحاجة ، ويحذر من كثرة

الزوجات ويفضل الواحدة ؛ لصعوبة التعامل معهن والإنفاق عليهن ، ويفضل الكسب والعمل كي لا يحتاج الفرد إلى الأراذل والسفهاء ولا يتحقق ذلك دون عمل الزوج واقتصاد الزوجة.
ومن المظاهر الصحية التي حذر منها ابن الجوزي الإسراف الجنسي إذ فضل تقليل الجماع حفاظا على سلامة الفرد لأن أغلب الناس لا يدركون حكمة النكاح وهي وجود النسل ودفع الأذى من الجسد . وأكد على العناية بالمظهر . اما أسلوبه المقالي فيشيع فيه تكرار بعض الأفعال والكثير من الاسماء ذات الطابع الديني . وقد وظف وسيلتي السرد الذاتي والموضوعي للتعبير عن مكونات نفسه وافكاره .
ويجج أسلوبه بالصور البيانية كالتشبيه والاستعارة كما احتوى أسلوبه الفنون البديعية كالجناس والطباق والسجع والاقتناس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .
واخيرا لا بد من القول ان كتاب صيد الخاطر يتكون من مجموعة مقالات ذات مضامين متنوعة واساليب بلاغية متلونة تحمل في طياتها ذاتية الكاتب ورؤيته الإصلاحية الهادفة .

الهوامش

- ١- معجم مقاييس اللغة : احمد بن فاس بن زكريا / ١٦٩ .
- ٢- شرح المعلمات السبع: الزوزني / ١١٠ .
- الثقاف : الحديد الذي يقوم به الرمح وقد ثقفته : قومته .
- ٣- لسان العرب : ابن منظور ١١٢/٢ .
- ٤- في الثقافة الاسلامية : د. احمد نوفل ، محمد عبد الغني المصري ، محمود احمد عويضة / ٨ .
- ٥- ص الخاطر : ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / ٩٠ .
- ٦- عناصر القوة في الاسلام / ١٢ .
- ٧- المصدر نفسه / ١٤ - ١٦ .
- ٨- صيد الخاطر : ابن الجوزي / ١٨٩ .
- ٩- المصدر نفسه / ١٩٥ .
- ١٠ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ١/٤ .
- ١١ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٨١ .
- ١٢ - عناصر القوة في الإسلام: السيد سابق / ٢١ .
- ١٣ - الذنوب وأثرها السيء في الفرد والمجتمع: احمد زكي القيسي ، التربية الإسلامية ، بغداد ، العدد (٧) ، ١٩٩٢م / ٤٠٦ .
- ١٤ - الأعلام: خير الدين الزركلي ٨٩/٤ .
- ١٥ - تذكرة بالأخبار على اتفاقات الأسفار: محمد بن احمد بن جبير الأندلسي / ٧٦ .
- ١٦ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٦٦ .
- ١٧ - المصدر نفسه / ١٨٨ .
- ١٨ - العزلة والمجتمع: نيقولاى برديانف ، ترجمة فؤاد كامل / ٩٤ .
- ١٩ - الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب: جلال الدين السيوطي ١٣٦٨هـ / ٢٢ .
- ٢٠ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٣٠٩ .
- ٢١ - المصدر نفسه / ٣١٨ .
- ٢٢ - رسالة الصداقة والصديق: أبو حيان التوحيدي ، تحقيق إبراهيم الكيلاني / ١٠ .
- ٢٣ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٥٦ .
- ٢٤ - المصدر نفسه / ٢٤٥ .
- ٢٥ - الأصدقاء والصداقة: حسن حجي حسن جه ماني / ٨٦ .
- ٢٦ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٨٦ .
- ٢٧ - علم النفس لكل رجل وامرأة: أي. ماندر ، ترجمة عبد الباقي كاظم جواد ، / ٣٤ .
- ٢٨ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢٠٣ .
- ٢٩ - السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين: فوزي سالم عفيفي / ١٣٠-١٣١ .
- ٣٠ - المصدر نفسه / ١٢٩ .
- ٣١ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢١٨ .
- ٣٢ - أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي تحقيق مصطفى السقا / ٢٤٥ .
- ٣٣ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢٢٢ .
- ٣٤ - الأخلاق الإسلامية للناشئة: د. محمد خير فاطمة / ٣٥٠ .
- ٣٥ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٠ .

- ٣٦ - المصدر نفسه / ٣٤١.
- ٣٧ - ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم: جليل رشيد فالح ، مجلة آداب الرفادين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، العدد (١٠) ، ١٩٧٩م / ٢٩٧.
- ٣٨ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٠٣.
- ٣٩ - في الثقافة الإسلامية: د. احمد نوفل. محمد عبد الغني المصري ، محمد احمد عويضة / ١٧.
- ٤٠ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٢٩.
- ٤١ - كيف تدرس: محمد حسين الزنتاوي / ٤٧.
- ٤٢ - المصدر نفسه / ٥١.
- ٤٣ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ١٦٤.
- ٤٤ - المصدر نفسه / ٢٤٥.
- ٤٥ - منهج الإمام ابن الجوزي في تربية النفس والبدن: نور الدين طوابة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (٤٥) ، ٢٠٠٤م / ٩٠.
- ٤٦ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢٥٣.
- ٤٧ - نظرة الإسلام إلى المال: د. عمر الجبدي ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، العدد (٢٧٤) ، ١٩٨٥م / ٢٣.
- ٤٨ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢٦٧.
- ٤٩ - عناصر القوة في الإسلام: السيد سابق / ١٢٧.
- ٥٠ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢٦٣.
- ٥١ - البداية والنهاية : ابن الكثير ١٣ - ٣٠ .
- ٥٢ - كتاب اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمه: الثعالبي / ٢٦٩.
- ٥٣ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٣٠٠.
- ٥٤ - الزوجة المثالية في الإسلام: محمد محمد جاد المولى الجبلاوي ، مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، العدد (١٣١) ، ١٩٧٦م / ١٠٨.
- ٥٥ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٣٤٤.
- ٥٦ - المصدر نفسه / ١٧٤.
- ٥٧ - المجتمع الإنساني في ظل الإسلام خصائصه ومميزاته: د. احمد صبحي حمادي آل سلوم ، المجلة الثقافية ، عمّان ، العدد (٥٣) ، ٢٠٠١م / ١٢٦.
- ٥٨ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٢٤٧.
- ٥٩ - منهج الإمام ابن الجوزي في تربية النفس والبدن: نور الدين طوابة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (٤٥) ، ٢٠٠٤م / ٩٨.
- ٦٠ - موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ١ / ١٠٥.
- ٦١ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٣٠.
- ٦٢ - أركان الأخلاق في الإسلام: نجم الدين محي الدين الكيلاني / ٧٧.
- ٦٣ - صيد الخاطر: ابن الجوزي / ٦٣.
- ٦٤ - منهج الإمام ابن الجوزي في تربية النفس والبدن: نور الدين طوابة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (٤٥) ، ٢٠٠٤م / ٩٧.
- ٦٥ - النظرية السايكولوجية في الإسلام: الحارث عبد الحميد حسن ، مجلة دراسات فلسفية ، بغداد ، العدد (٣) ، ١٩٩٩م / ٧٩.
- ٦٦ - الدين في حياتنا: د. عون الشريف قاسم / ١٤٤.
- ٦٧ - صيد الخاطر : ان الجوزي / ٤٦.
- ٦٨ - المصدر نفسه / ٥٣ .
- ٦٩ - المصدر نفسه / ٥٧ .
- ٧٠ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير ٢ / ٣٥٧ .
- ٧١ - صيد الخاطر : ابن الجوزي / ٤٢ .
- ٧٢ - المصدر نفسه / ٤٥ .
- ٧٣ - المصدر نفسه / ٥٧ .
- ٧٤ - المصدر نفسه / ٨٣ .
- ٧٥ - المصدر نفسه / ١٢٨ .
- ٧٦ - المصدر نفسه / ١٧٨ .
- ٧٧ - تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة / ٢٣٥ .
- ٧٨ - ينظر صيد الخاطر / ٥٥ - ٥٦ ، ٦٥-٦٦ ، ٧٦-٧٧ ، ٩٤-٩٦ .

- ٧٩- ينظر المصدر نفسه / ١٣١-١٣٤ .
- ٨٠- ينظر المصدر نفسه / ١٣٦ ، ١٢٥ ، ١٠٣ .
- ٨١- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : د. حميد لحداني / ٤٧ .
- ٨٢- البناء الفني لرواية الحرب في العراق : عبد الله إبراهيم / ١٧٦ .
- ٨٣- صيد الخاطر / ٢٥ .
- ٨٤- المصدر نفسه / ١٤ .
- ٨٥- نظرية المنهج الشكلي : تزفيتان تودوروف / ١٨٩ .
- ٨٦- صيد الخاطر : ابن الجوزي / ٤٣ .
- ٨٧- المصدر نفسه / ٤٩ .
- ٨٨- المصدر نفسه / ٢٣٦ .
- ٨٩- الاسلوبية : فتح الله احمد سليمان / ١٣ .
- ٩٠- ٩١- صيد الخاطر / ٤ .
- ٩٢- المصدر نفسه / ١٠٢ .
- ٩٣- المصدر نفسه / ١٣٦ .
- ٩٤- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن اثير ١ / ٣٤٢ .
- ٩٥- صيد الخاطر / ١٣٦ .
- ٩٦- المصدر نفسه / ٢٠٦ .
- ٩٧- المصدر نفسه / ٨٨ .
- ٩٨- المصدر نفسه / ١٣٥ .
- ٩٩- تاريخ الأدب العباسي : رينولد نيكلسن / ١١٣ .
- ١٠٠- صيد الخاطر / ٣٤٤ .
- ١٠١- المصدر نفسه / ٢٩٠ .
- ١٠٢- المصدر نفسه / ٨٠- ٨١ .
- ١٠٣- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ١ / ٨٤ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا - الكتب :

١. الأخلاق الإسلامية للناشئة: د. محمد خير فاطمة ، دار الخير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.
٢. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٣ ، ١٩٥٥م.
٣. أركان الأخلاق في الإسلام: نجم الدين محي الدين الكيلاني ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨م.
٤. الاسلوبية : فتح الله احمد سليمان ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ م .
٥. الأصدقاء والصدقات: حسن حجي حسن جه ماني: مطبعة اسعد ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩م.
٦. الإعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ، دون ناشر ، دون مكان نشر ، ط٣ ، دون تاريخ ، الجزء الرابع.
٧. البداية والنهاية : اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٧م .
٨. البناء الفني لرواية الحرب في العراق : عبد الله إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٢ .
٩. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : د. حميد لحداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩١ م .
١٠. تاويل مشكل القرآن : ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) شرح احمد صقر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م .
١١. تاريخ الادب العباسي : رينولد نيكلسن ، ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٧م .

١٢. تذكرة بالأخبار على اتفاقات الأسفار: محمد بن احمد بن جبير الأندلسي (ت ٦١٤هـ) ، المكتبة العربية ، بغداد ، ط١ ، ١٣٥٦هـ.
١٣. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، (ت ٦٧١هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، الجزء الأول.
١٤. الدين في حياتنا: د. عون الشريف قاسم ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م.
١٥. رسالة الصداقة والصديق: ابو حيان التوحيدي ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٦٤م.
١٦. السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين: فوزي سالم عفيفي ، دار غريب للطباعة القاهرة ، ط١ ، دون تاريخ.
١٧. شرح المعلقات السبع : حسين بن احمد بن حسين الزوزني (ت ٤٨٦هـ) ، مكتبة النهضة ، بغداد ، دون تاريخ .
١٨. الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق احمد عبيد ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط١ ، ١٣٦٨هـ.
١٩. صيد الخاطر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، إعداد قسم التحقيق ، دار الإسرائ للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٥م
٢٠. العزلة والمجتمع: نيقولاوي برديانف ، ترجمة فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م.
٢١. علم النفس لكل رجل وامرأة: أي. ماندر ، ترجمة عبد الباقي كاظم جواد ، منشورات مكتبة آفاق عربية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٤م.
٢٢. عناصر القوة في الإسلام: سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م.
٢٣. في الثقافة الإسلامية: د. احمد نوفل ، محمد عبد الغني المصري ، محمود احمد عويضة ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٤م.
٢٤. كتاب اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمه : ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق محمد جاسم الحديثي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ م .
٢٥. كيف تدرس: محمد حسين الزنتاوي ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
٢٦. لسان العرب : ابن منظور (ت ٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩م ، ١١٢ / ٢ .
٢٧. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق د. احمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٣م .
٢٨. معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.
٢٩. موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين: محمد جمال الدين القاسمي دمشقي (ت ١٣٣٢هـ) ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ط١ ، دون تاريخ ، الجزء الأول.
٣٠. نظرية المنهج الشكلي : تزفيتان تودوروف ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م.

ثانيا - الدوريات :

١. ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم : جليل رشيد فالح ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، العدد (١٠) ، ١٩٧٩م.
٢. الذنوب وأثرها السوء في الفرد والمجتمع: احمد زكي القيسي ، مجلة التربية الإسلامية ، بغداد العدد (٧) ، ١٩٩٢م.
٣. الزوجة المثالية في الإسلام: محمد محمد جاد المولى الجبلاوي ، مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، العدد (١٣١) ، ١٩٧٦م.
٤. المجتمع الإنساني في ظل الإسلام خصائصه ومميزاته: د. احمد صبحي حمادي آل سلوم المجلة الثقافية ، عمان ، العدد (٥٣) ، ٢٠٠١م.
٥. منهج الإمام ابن الجوزي في تربية النفس والبدن: نور الدين طوابة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (٤٥) ، ٢٠٠٤م.
٦. نظرة الإسلام إلى المال: د. عمر الجبدي ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، العدد (٢٧٤) ، ١٩٨٥م.
٧. النظرية السايكولوجية في الإسلام: الحارث عبد الحميد حسن ، مجلة دراسات فلسفية ، بغداد ، العدد (٣) ، ١٩٩٩م.

Dr. Basim Nadhim Sulaiman
Instructor
College of Education
Kirkuk University

ABSTRACT

This study is entitled Phenomena of Culture in Ibn Al Jawzi *Said Al Khater* where the social approach is adopted when analyzing texts.

The study consists of an introduction, six chapters and a conclusion. Chapter one deals with religious phenomena, chapter two deals with social phenomena, chapter three deals with psychological phenomena, chapter four deals with educational phenomena, chapter five deals with economic phenomena and chapter six deals with healthy phenomena.

Ibn Al Jawzi culture phenomena in his book *Said Al Khater* are embodied in religious, social, psychological, educational, economic and healthy aspects through his essay style that include many of his self experiments.

Some of the religious topics are discussed in this book including evidences of the existence of the Creator, importance of patience, death and warning against sins. The social topics include the merit of isolation, warning against friends and the necessity of keeping secrets. The psychological topics deal with the bad effects of anger, warning against envy and arrogance. As for the educational topics, they include the investment of time, how to read and the importance of writing books. Economic phenomena include the warning against much spending and marrying one women. As for the healthy topics, Ibn Al Jawzi warns against sexual misuse and paying more attention for health and cleaning.

The preaching religious style is clear in his style and he used repetition for the purposes of emphasis and convention as he is a preacher dedicated his life for preaching and guiding to save the society of loss.